مدرسة التفيض الأهلية في بغداد ١٩١٩- ١٩٧٤ دراسة تاريخية وثائقية

المدرس المساعد جاسم محمد رجب

مديرية تربية الرصافة الثالثة

thehistorian.jassim@gmail.com

الملخص

أقدم أحد وجهاء ولاية بغداد وتجارها علي البازركان بتأسيس ثانوية التفيض الأهلية في بغداد في مدة الاحتلال البريطاني على العراق عام ١٩١٩، بمساعدة أعضاء جمعية حرس الاستقلال. وبسبب التوجهات السياسية والوطنية للهيئة الإدارية للمدرسة دفعت السلطات البريطانية الى إغلاقها عام ١٩٢٠ وفي نفس العام فتحت المدرسة أبوابها بعد التوسط لدى الحاكم المدني البريطاني السير بيرسي كوكس. تولت جمعية التفيض الأهلية بعد تأسيسها عام ١٩٢٥ الإشراف على الشؤون الإدارية والتعليمية للمدرسة ، وألحقت بها ثانوية التفيض المسائية للبنين عام ١٩٣٧ ، وأضيف إليها الفرع التجاري المسائي للبنين عام ١٩٥٧ . وتحولت الى مدرسة حكومية بعد تأميمها عام ١٩٧٤.

الكلمات المفتاحية : ثانوية التفيض، جمعية التفيض الأهلية ، وزارة المعارف.

Abstract:

Ali Al-Bazrkan, one of the prominent figures and merchants of Baghdad, founded Altafayd Private Secondary School in Baghdad during the period of British colonization of Iraq in 1919, with the assistance of members of the Independence Guard Association. Due to the political and nationalist orientations of the school's administration,

the British authorities compelled its closure in 1920. However, in the same year, the school reopened its doors after an appeal submitted the British Civil Governor, Sir Percy Cox. After its establishment in 1925, Altafayd Private Association supervised its administrative and educational affairs. In 1937, the evening secondary school for boys, Altafayd Evening Secondary School, was affiliated with it, and in 1957. It was transformed into a government school after its nationalization in 1974.

Keywords: Altafayd Secondary School, Altafayd Private Association, Ministry of Education.

المقدمة

شـهد تاريخ العراق الحديث والمعاصـر تأسـيس عدد من المدارس الأهلية والأجنبية ، وقد قامت بتأسيسها الهيئات والجهات المحلية والدولية غير الرسمية وساهمت مساهمة فاعلة إلى جانب التعليم الحكومي بدفع عجلة التعليم الوطني نحو المسـتويات العلمية المتطورة ، وكانت المدارس التي أسـسـتها الطوائف المسـيحية والطائفة اليهودية في العراق في العهد العثماني حافزاً للمسلمين بتأسيس مدارس حديثة مماثلة لها ، بعد أن كان التعليم لدى الغالبية العظمى من المسـلمين العراقيين يقتصـر على الكتاتيب الملحقة بالجوامع التي كانت تعرف بالمدارس الدينية التقليدية. وفي أواخر سنوات العهد العثماني تم تأسيس اولى المدارس الأهلية الإسلامية في بغداد عام ١٩٠٨ باسم (مدرسة الترقي الجعفري) ، ولم تكن هذه المدرسة كافية لاستيعاب الأعداد الهائلة من الطلبة المسلمين . أما بالنسبة للتعليم الرسمي في بغداد عام ١٩١٨ فقد اقتصـرت مديرية المعارف على مدرسـة ثانوية واحدة ، فلم تعنى حكومة الاحتلال البريطاني اهتماماً بالتعليم الثانوي . مما دفع أحد رجالات السـاسـة الوطنيين علي البازركان

إلى تأسيس أولى المدارس الثانوية الأهلية الإسلامية في بغداد في مدة الاحتلال البريطاني على العراق عام ١٩١٩، بدعم ومساعدة الأهالي وبعض الشخصيات السياسية والأدبية .

لم يتناول هذا الموضوع في الدراسات والبحوث الأكاديمية للباحثين دراسة تاريخية وثائقية وفق منهج البحث العلمي التاريخي الدقيق، أما من حيث النتاجات التاريخية والفكرية للمؤلفين فقد تناول جزءاً من الموضوع الباحث الدكتور معن فيصل القيسي في كتابه مدارس بغداد وأثرها في الحركة الوطنية العراقية ثانوية التفيض الأهلية للبنين أنموذجاً (١٩١٩-١٩٣٩) دراسة تاريخية . ولم تتوسع الدراسة وفق النطاق الزمني التاريخي للموضوع حتى تأميمها عام ١٩٧٤ ، فضلاً عن اعتمادها على المصادر العربية والمعربة بشكل رئيس . انطلاقاً من ذلك ارتأى الباحث الخوض بدراستها دراسة تاريخية وثائقية من افتتاحها حتى تأميمها عام ١٩٧٤. من هنا تأتي أهمية البحث بعنوان (مدرسة التفيض الأهلية في بغداد ١٩١٩- ١٩٧٤ دراسة تاريخية وثائقية) بالاعتماد بشكل رئيس على الوثائق الرسمية غير المنشورة لوزارة المعارف(التربية والتعليم) ، فضلاً عن الاستعانة بالتقارير السنوية لسير المعارف ،كما تمت الاستعانة ببعض المصادر والمراجع التاريخية المهمة من اهمها مذكرات علي البازركان التي كانت بعنوان(فصول من تاريخ التربية والتعليم في العراق ذكريات ووثائق).

قسم البحث إلى مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة . تناول المبحث الأول تأسيس مدرسة التفيض الأهلية ونشاطها التعليمي حتى العام ١٩٧٤، فيما درس المبحث الثاني الملاك الإداري والتدريسي للثانوية ، وركز المبحث الثالث على طلاب المدرسة ، واختص المبحث الرابع بواردات المدرسة المالية وميزانيتها السنوية .

المبحث الأول

تأسيس مدرسة التفيض الأهلية ونشاطها التعليمي حتى العام ١٩٧٤

كانت الغالبية الكبرى من العراقيين الذين يدينون بالديانة الإسلامية في أواخر سنوات العهد العثماني في العراق يحجبون أولادهم عن التعليم في المدارس الرسمية العثمانية ، بسبب سياسة التتريك التي انتهجتها الحكومة العثمانية على الطلبة العراقيين ، بعد أن ألزمت مدارسها بالتدريس باللغة التركية الصعبة على الطلبة وعدم العناية بتدريس اللغة العربية ، فضلاً عن تأخر الجهاز الفني والعلمي لتلك المدارس التي كانت تفتقر الى نظم وأساليب التعليم الحديث، في حين لم يكن للأهالي المسلمين مدارس أهلية إسلامية خاصة بهم لتعليم أولادهم على غرار ما كانت للطوائف الدينية المختلفة في العراق من مدارس خاصة بها (إبراهيم ، ١٩٨٢، ٥٦-٦١). وبحكم ذلك واصل الكثيرون من الطلبة المسلمين تعليمهم في مدارس الإرساليات التبشيرية والمدارس الأهلية والأجنبية التابعة للطوائف المسيحية والطائفة اليهودية التي أنشأت مدارسها على وفق نظام التعليم الأوروبي الحديث الذي كانت التدريس فيها باللغة العربية (جاسم ، ٢٠١٦، ٣٥-٣٦).

وبعد الاحتلال البريطاني للعراق سنة ١٩١٨ ، وجهت إدارة المعارف التي تديرها السلطات البريطانية جهودها نحو التعليم الابتدائي فحاولت الإكثار من المدارس الابتدائية والأولية في الوقت الذي لم تول حكومة الاحتلال البريطاني عناية خاصة بالتعليم الثانوي والعالي لاعتقادها أن البلاد تحتاج الى المدارس الابتدائية أكثر من حاجتها الى المراحل الدراسية الأخرى (المعلم الجديد ، ١٩٤٨، ١٢٤- ١٢٥). وبفعل ذلك أقدم علي البازركان (١٨٨٧-١٩٥٨) (البازركان، ١٩٩٢، ١٤-١٦٢) على تأسيس مدرسة ثانوية اهلية في بغداد للطلاب المسلمين الذين أكملوا تعليمهم في المدارس الابتدائية ، وبناءً على الطلب الرسمي المقدم من علي البارز كان إلى ناظر العدلية البريطاني بونهام كارتر(Bonham carter) في ٢٨ آب ١٩١٩ أصدرت مديرية المعارف الإجازة الرسمية بتأسيس المدرسة

الأهلية في ٨ أيلول ١٩١٩ ، شـــريطة اتباع المناهج الرســـمية لمديرية المعارف . وجرى التصـويت على أنتخاب أول هيئة إدارية للمدرسـة تألفت من نخبة من الشـخصـيات البغدادية المعروفة وهم كل من محمد حسن كبة وعاصم الجلبي وحسن رضا المحامي وإبراهيم العثمان وانتخب الأعضـاء علي البازركان رئيسـاً للهيئة الإدارية ، أخذت الهيئة على عاتقها مسـؤولية تمويل المدرســة ودعمها من النواحي المادية والفنية عن طريق التبرعات المالية الممنوحة من قبل الأثرياء والأهالي الميســورين ، واســتأجرت لهذا الغرض دار (مدحت بك الزهاوي) في محلة جديد حسـن باشـا (جمال بابان ، ٢٠١٣، ٥١-٥٢) خلف متصـرفية لواء بغداد بمبلغ مالي قدره (٢٥٠٠) روبية سـنوياً ليكون موقعاً للمدرســة الأهلية المزمع افتتاحها في السـنة الدراسية ١٩١٩- ١٩٢٠ ، ووفرت في بنايتها الاثاث والادوات الفنية والوسائل العلمية اللازمة لسـير عملها، و تبرع البازركان بمكتبته الشـخصـية التي ضـمت أعدادًا كبيرة من الكتب التي اختصت في مجالات التاريخ والجغرافية والهندسة والخرائط واللغات الأجنبية والأدب ، ونشرت الهيئة الإدارية إعلاناً في الصـحف العراقية الرسـمية إيذاناً بافتتاح المدرسـة الأهلية في بغداد وحثت الأهالي الراغبين في تسـجيل أولادهم ، وبلغ عدد الطلبة المسـجلين في الأسـبوع الأول من افتتاحها (٣٠٠) طالب تم قبولهم في صــفوف القســمين الابتدائي والمتوســط ، وألزمت العوائل الغنية بدفع الأجور الدراســية الشــهرية لأبنائهم، فيما ســمحت للطلبة الفقراء بالتعليم مجاناً (البازركان، ١٩٩٢، ١٤٠-١٤٢). تجدد انتخاب الهيئة الإدارية للمدرســة بعد أن انفصمت عرى الاتفاق الأول بين أعضائها، وجرى التصويت لانتخاب أعضاء الهيئة الإدارية العامة للمدرسـة التي تألفت من كل من علي البازركان مديراً للمدرسـة ورئيسـاً للإدارة ، فيما تألفت الهيئة من عضـوية كل من الشـيخ عبد الوهاب النائب وحسـن رضـا وخالد الشـهبندر وجلال بابان وبهجت زينل وسليمان فيضي (فيضي ، ١٩٥٢، ٢٤١) .

فتحت المدرسـة الأهلية أبوابها للطلبة في ١٤ أيلول ١٩١٩ (وزارة المعارف ، ١٩٥٢، ٥٤٦/٣٢١٢٠) ولاقت اقبالاً من الأهالي لإرســال أولادهم للتعليم فيها ، وكان من أبرز

الصـــعوبات التي واجهتها المدرســة في بداية افتتاحها التحاق أعداد كبيرة من الطلبة القادمين من المدارس الحكومية ، وســببت بدورها ارباكاً في عمل تلك المدارس ، لاقت هذه المســألة معارضـة شـديدة من قبل مديري المدارس الحكومية بعد ان اصـبحت مدارسـهم شـبه فارغة من الطلبة ، و رفعوا بدورهم شـــكوى إلى ناظر المعارف البريطاني الكابتن بيز (Biz) مطالبين بإغلاق المدرســة، زار الناظر البريطاني المدرســة بمعية المســتشــارة البريطانية المس بيل يرافقهما مفتشـان من الصـحة ، حذر الناظر بغلق المدرسـة في حال اسـتمرارها بقبول طلاب المدارس الحكومية ، وأعرب علي البازركان في هذا الصـــدد أن شـــكوى مديري المدارس الحكومية غير مبرر لعدم إجبار الأهالي لتســـجيل أولادهم فيها ، كما أن الحكومة اعطت الحريـة للأهالي لإرســـال أولادهم الى المدارس التي يرغبون التعليم فيها بغض النظر عن تبعيتها للجهة الرسمية أو الأهلية (البازركان، ١٩٩٢، ١٤٥-١٤٧)

ارتبطت الأهداف التربوية و التعليمية للهيئة الإدارية العامة لحزب الاســـتقلال بالتوجهات السـياسـية والوطنية المناهضـة للسـلطات البريطانية، واتخذت من المدرسـة معقلاً لاجتماعاتهم السـرية بصـورة غير معلنة حتى غدت مركزاً للحركة الوطنية المناوئة للاحتلال البريطاني و اســتقطبت فئة من الشــباب المتحمس للقضــايا الوطنية وألقت على مســامعهم الخطب الوطنية والقصــائد الحماســية التي أكدت على رفض الانتداب البريطاني والمطالبة بأسـتقلال العراق ، فضــلاً عن الصــلات الوثيقة لمديرها المسـؤول علي البازركان بأقطاب الحركة الوطنية في البلاد ،غير أن الحكومة البريطانية كانت تتوجس خيفة من النشـــاط المعادي لهذه المدرسـة والمدارس الأخرى في بغداد من اسـتغلالها من قبل العناصـر الوطنية المناوئة ، وقامت الشرطة السرية البريطانية برفع تقاريرها إلى السلطات البريطانية حول نشاط الحركة السياسية للحزب ، ولما علمت السلطات البريطانية بما يدور من ممارسات سياسية تتناقض مع أهدافها المعلنة قامت بإغلاقها في ١٢ آب ١٩٢٠، وأصـــدرت أمراً باعتقال

مؤسسيها ومعلميها ، بهدف منع المدرسة من تعبئة الرأي العام ضد سياسة الحكومة البريطانية في العراق (المس بيل ، ١٩٧١، ٣١٣).

وثمة حقيقة تاريخية ينبغي الإشارة إليها في هذا الصدد، إذ ذكرت المستشارة البريطانية المس بيل في كتابها فصول من تاريخ العراق القريب ان الشرطة السرية البريطانية لدى ملاحقتها البازركان وبعض العناصر الوطنية في بغداد عام ١٩٢٠ داهمت بناية المدرسة الأهلية وعثرت فيها على وثائق تثبت أن الأموال التي جمعت للمدرسة من قبل جمعية حرس الاستقلال تم توظيفها للقضاء على بعض الشخصيات السياسية العراقية المهمة التي تخالف توجهاتها السياسية وتقف حجر عثرة أمام أهدافها الوطنية (المس بيل ، ١٩٧١، ٤٣٥– ٤٣٧). ويذكر الباحث العراقي الدكتور محمد حسين الزبيدي في كتابه الموسوم (العراقيون المنفيون الى جزيرة هنجام) في عشية الثورة العراقية عام ١٩٢٠ داهمت قوة بريطانية بيت يوسف السويدي أحد زعماء حزب الاستقلال ووجدت في بيته رسالة أرسلها عبد المجيد كنه الذي ينتسب إلى جمعية حرس الاستقلال ويترأس مجموعة سرية تعرف (بحزب الدفاع) ، مطالباً بدعم أنصاره لتصفية خصومهم السياسيين المتعاونين مع السلطات البريطانية وكان من اهمهم السيد طالب النقيب (الزبيدي ، ١٩٨٩، ١٠٠– ١٠١).

بعد أن أخمدت الثورة العراقية الكبرى ، حاولت الهيئة الإدارية إعادة افتتاح المدرسة من جديد بعد إغلاقها من قبل البريطانيين ونجحت مساعيها في التوسط لدى السلطات البريطانية ، بعد أن أجرى الشيخ عبد الوهاب النائب مقابلة مع الحاكم الملكي العام السير بيرسي كوكس (percy Cox) الذي استحصل منه الموافقة الرسمية بفتح المدرسة الأهلية ثانية ، شريطة عدم القيام بالممارسات السياسية المعادية للبريطانيين ، والانشغال بالنشاط التعليمي ، فضلاً عن تغيير اسم المدرسة ، وبحكم ذلك اقترح الشيخ عبد الوهاب النائب على تسميتها (بالتفيض) نسبة الى اسم سليمان فيضي الذي كان من أكثر أعضاء الهيئة حماساً باستئناف تأسيس المدرسة (فيضي ، ١٩٥٢، ٢٤١).

وعند تأسيس الحكومة العراقية عام ١٩٢١ ، تغيرت تسمية الهيئة الإدارية للمدرسة إلى جمعية مدرسة التفيض الأهلية ، بعد أن تخلت الهيئة عن نشاطها السياسي والحزبي واقتصرت توجهاتها وأهدافها على المنافع الاجتماعية العامة الرامية إلى نشر العلم والثقافة بين أبناء المجتمع البغدادي ، من خلال الشروع بتأسيس المدارس الحديثة في بغداد ، وباشرت الجمعية في عام ١٩٢٥ بالإشراف على الشؤون الإدارية والتعليمية لثانوية التفيض الأهلية ،ودعمها من النواحي المادية والفنية واسهمت بمساعدة الطلبة الفقراء والمعدمين وجهزتهم باللوازم المدرسية بهدف مواصلة تحصيلهم العلمي (وزارة المعارف ، ١٩٥٢–١٩٥٥ رقم الملفة٥٤٦/٣٢١٢٠). واصلت الجمعية جهودها بجمع التبرعات والاشتراكات الممنوحة من قبل التجار والأثرياء والشخصيات السياسية العراقية الداعمة لقضايا التعليم ، بهدف تأسيس بناية نموذجية للمدرسة ،اختيرت لها أرض مساحتها (٢٠٠٠) متر في جانب الرصافة من بغداد في محلة العاقولية المجاورة لجامع العاقولي شيدت عليها بناية نموذجية فخمة وفق الهندسة المعمارية الحديثة ، وأصبحت فيما بعد تطل على شارع الملكة عالية من جهته الشرقية في عام ١٩٣٥ (شارع الجمهورية حالياً)(وزارة المعارف ، ١٩٦٨، ٣٢٧) .

كانت بناية المدرسة تتكون من طابقين وساحة واسعة ومنتظمة للاصطفاف المدرسي وإقامة الألعاب الرياضية ، وعشرين قاعة وصالة خصص معظمها صفوفاً للدراسة ، فيما خصص القسم الآخر منها لشؤون الإدارة والهيئة التدريسية والمكتبة المدرسية والمخزن والصالة الرياضية ، كما وخصصت ثلاث قاعات منها للمختبرات العلمية الخاصة لدروس (الفيزياء والكيمياء والتاريخ الطبيعي) لإجراء الدروس المختبرية والتطبيقية للطلبة ، واحتوى الطابق العلوي للمدرسة على مسرح مدرسي كبير، عد من افخم المسارح المدرسية في بغداد، صممت قاعدته البنائية على ثلاثة طوابق مدرجة خصصت لإقامة العروض المسرحية والمشاهد التمثيلية ، فضلاً عن إقامة الاحتفالات الدينية والوطنية في باحتها ، بهدف تعزيز الجانب الثقافي والأدبي والإبداعي للطلبة (وزارة المعارف ، ١٩٦١، ٦٥)

اتبعت المدرسة منهاج وزارة المعارف بالاعتماد على الكتب والمناهج الرسمية المقررة والمعمول بها في المدارس الحكومية ، واشتملت المواد الدراسية للقسمين المتوسط والإعدادي على دروس اللغة العربية واللغة الانجليزية والرياضيات العامة والجبر والمثلثات والفيزياء والكيمياء وعلم الحيوان والأحياء والعلوم العامة والصحة والنبات والهندسة والحساب والاقتصاد والتاريخ الحديث والجغرافية والرسم والرياضة.(وزارة المعارف، ١٩٥٤-١٩٥، ٢٩)

وعند حلول العام الدراسي ١٩٣٧ قامت الجمعية بافتتاح قسم ثانوي للدراسة المسائية في مبنى الثانوية شملت المرحلتين المتوسطة والإعدادية ، وفسحت المجال للكثيرين من الطلبة الذين تركوا مقاعد الدراسة ، بهدف مواصلة تعليمهم في قسمها المسائي ، بعد أن أجبرتهم الظروف المعيشية والاجتماعية القاهرة بالعزوف عن التعليم في المدارس النهارية ، بسبب انشغالهم بالعمل في الفترة الصباحية .(وزارة المعارف ، ١٩٥٧-١٩٦٢، رقم الملفة ٥٤٣/٣٢١٢٠). لذلك كانت النجاحات التي شهدتها الثانوية في سير شؤونها الإدارية والتعليمية سيراً حسناً حافزاً للجمعية بتوسيع دائرة نطاقها التعليمي ، وانتشرت رقعة مدارسها في بغداد بعد أن أنشات فيها مؤسسات تربوية وتعليمية حديثة شملت أقسام الروضة والابتدائية والثانوية ، وقامت بإنشاء الأبنية المدرسية الحديثة لها (وزارة المعارف ، ١٩٦٥، ٤٩-٥٠). الا ان النفقات المالية الكبيرة لهذه المدارس ادت الى عجز الميزانية المالية للجمعية واثقلت كاهلها بالديون بسبب عدم قيام إدارات بعض المدارس بتسجيل أعداد كافية من الطلبة لسد نفقاتها المالية ، اذ كانت واردات تلك المدارس بمثابة المورد الرئيسي الذي تعتمد عليه الجمعية في ميزانيتها السنوية التي خصصتها للإنفاق على مدارس التفيض الأهلية في بغداد ، مما انعكس تأثيرها سلباً على الأوضاع الإدارية والتعليمية لثانوية التفيض وانحسر نشاطها التعليمي بسبب عجز الجمعية عن تمويل الثانوية ، ونستدل على ذلك بما جاء في الكتاب السري الصادر من مفتش المدارس الثانوية الأهلية صادق خوجه إلى رئاسة المفتشين في وزارة المعارف والمؤرخ في ١١ آذار ١٩٥٢ ، عن الأسباب التي أدت إلى

تدهور الأوضـاع التعليمية لثانوية التفيض الأهلية على الصـعيدين المالي والثقافي على الرغم من الجهود الجبارة لهذه المدرســـة في تعليم وتثقيف طلبتها وتخريج أعداد غفيرة منهم ، الا انها أصـــبحت مهددة بالإغلاق بســبب الضـــائقة المالية التي اعترتها ، وعجزت إدارتها عن تأمين الرواتب الشـــهرية لملاكاتها التدريســـية ، وبفعل ذلك أصـــبح الكثير من المدرســـين والمحاضرين لا يتقاضون رواتبهم وأجور محاضراتهم الا مرة واحدة في كل شهرين ، مما أدى إلى اســـتيائهم وتذمرهم من الإجراءات الإدارية للجمعية وعزوفهم عن التدريس في الثانوية ، الأمر الـذي انعكس تـأثيره على أعـداد الطلبـة التي أخـذت بـالانخفـاض التـدريجي في عقـد الخمسـينات من القرن العشـرين ، وأصـبحت أعدادهم أقل من نصـف العدد الذي كان مسـجلاً في السـنوات الدراسـية السـابقة ، بعد ان انتقل الكثير منهم الى المدارس الأخرى في بغداد ، فيما ترك القسم الآخر منهم مقاعد الدراسة (وزارة المعارف ، ١٩٥٢، ٣٨٣).

تداركت الجمعية الأزمة المالية من خلال التبرعات المالية الممنوحة من قبل الأهالي ، فضـلاً عن مطالبتها بزيادة المنحة المالية من وزارة المعارف ، وبلغ مقدار المسـاعدة المالية الممنوحة من وزارة المعارف لمدارس التفيض الأهلية في بغداد للعام الدراسي ١٩٥٤– ١٩٥٥ (٦٠٠٠) دينار (وزارة المعارف ، ١٩٥٥، ٤١).

وبحلول سـنة ١٩٥٤ ترأس منصـب إدارة المؤسـسـات التعليمية لجمعية التفيض الأهلية في بغداد الأسـتاذ عبد القادر جميل بعد صـدور موافقة مجلس الوزراء العراقي على تنصـيبه بموجب كتابه ذي العدد (٤٥٧٣) والمؤرخ في ٢٢ ايلول ١٩٥٤(وزارة المعارف، ١٩٥٤، ١٥٢).

أقدمت جمعية مدرسـة التفيض الأهلية في بغداد عام ١٩٥٧ على فتح صـفوف القسـم التجاري المســـائي في مبنى الثانوية ، وبناءً على الطلب الرســـمي المقدم إلى وزارة المعارف أصـــدرت مديرية معارف لواء بغداد الإجازة الرسـمية المؤرخة في ١٤ تشـرين الثاني ١٩٥٧ بفتح الفرع التجاري المسائي بإسم (ثانوية التفيض التجارية المسائية)، وكانت المواد الدراسية

التي شـرعت بتدريسـها في فرعها التجاري شـملت الدروس التالية :- طرائق التجارة العربية وطرائق التجارة الإنكليزية والمحاسبة العربية والمحاسبة الإنكليزية والمراسلات الإنكليزية (وزارة المعارف ١٩٥٧، ١٩١).

بعـد تغيير نظـام الحكم الملكي وإعلان النظـام الجمهوري في العراق عـام ١٩٥٨ ، شـهدت الثانوية إقبالاً منقطع النظير من الطلبة الوافدين إليها للدراسة في صفوف القسـمين النهاري والمسـائي والفرع التجاري ، وأشـاد تقرير المفتشـية العامة لوزارة المعارف الخاص بالمدارس الثانوية الأهلية للمفتش الاختصـاص عبد الهادي المختار إلى انسـيابية النظام التعليمي للثانوية واستقرار ملاكاتها التدريسية من خلال ما ورد في مذكرته التي نصت على ما يلي:(تسيير شؤون جميع الفروع في هذه المؤسسة سيراً حسناً، وذلك ما يبعث على ضرورة تشجيع هذه المؤسسة ومساعدتها ومساندتها)(وزارة المعارف، ١٩٥٨، ٣١٠).

سعت الجمعية جاهدة إلى القيام بمشروع دراسـي عال والتمست الموافقة المبدئية من الجهات الرسـمية في وزارة المعارف عام ١٩٦٢ بيان رأيها حول فتح كلية مسـائية للحقوق بإسم (كلية الحقوق المسائية لجمعية التفيض الأهلية) ، لفسح المجال أمام خريجي ثانويات التفيض المسـائية لمواصـلة دراسـتهم العالية ، وأكدت في طلبها على الالتزام بتطبيق النظام التعليمي العالي السائد في جامعة بغداد وفق المقررات الدراسية المعمول بها في كلية الحقوق العراقية ، غير أن طلبها جوبه بالرفض من قبل الجهات الرسـمية المتمثلة بوزارة المعارف ووزارة العدل التي أشـارت إلى عدم انسـجام الطلب مع مقتضـيات المصـلحة العامة بالنظر لوجود كلية الحقوق الحكومية التابعة لجامعة بغداد التي خرجت الكثير من الحقوقيين لوزارة العدل ، كما وأعربت وزارة المعارف عن مخاوفها من الكليات الأهلية المسـائية التي تؤسـسـها الجمعيات الثقافية في حال قبول الطلبة ذوي المعدلات المتدنية التي تنافي معايير الرصـانة العلمية (وزارة المعارف ، ١٩٦٢، ١٤٤).

كان المشهد التعليمي للثانوية يبعث على الرضا والارتياح للجهات الرسمية في وزارة التربية ، مما دعت مديرية التربية والتعليم لمحافظة بغداد في أوائل الستينات من القرن العشرين الى الاستعانة بأبنية المدارس الأهلية ، من بينها مبنى ثانوية التفيض لاستيعاب طلاب المدارس الحكومية الذين أخذت أعدادهم بالازدياد في تلك الفترة ، وعلى هذا الأساس ألحقت متوسطة الرشيد الحكومية للبنين ببناية ثانوية التفيض الأهلية واستؤنف دوامها المسائي بعد الانتهاء من دوام القسم النهاري للثانوية ، فيما أشغل المبنى مساءً لثانوية التفيض الأهلية المسائية (وزارة التربية والتعليم ، ١٩٦٥، ٤٦٧).

استمرت ثانوية التفيض الأهلية بمزاولة نشاطها التعليمي حتى عام ١٩٧٤ ، بعد أن أقدمت الحكومة العراقية على إصدار قرار مجانية التعليم المرقم (١٠٢) والمؤرخ في ٧ شباط ١٩٧٤ والرامي إلى إغلاق جميع المدارس الأهلية والأجنبية في العراق وتحويلها إلى مدارس حكومية بعد تغيير أسمائها واستملاك أبنية تلك المدارس بموجب القرار المرقم (٢٧٤) الصادر في ٦ آذار ١٩٧٥. وبعد التأميم تحول مبنى الثانوية إلى مدرسة حكومية باسم (متوسطة الرشيد للبنين) (عبد ، ٢٠١٤، ٨٥- ٨٦).

المبحث الثاني

الملاك الإداري والتدريسي

تشكلت أول هيئة تدريسية للثانوية في عام ١٩١٩ من مديرها المسؤول علي البازركان وعشرة مدرسين وقد تبرع قسم منهم بالتدريس مجاناً وهم كل من علي البازركان والدكتور إسماعيل عبد الرزاق الصفار والدكتور صائب شوكت ويوسف الكبير وجلال بابان ، أما الأساتذة الآخرون فقد تم تعيينهم بأجور مالية محددة بحسب الوقت الذي يستغرقونه في تدريس الطلبة (البازركان ، ١٤٦).

وقد زودتنا الوثائق الرسمية بمعلومات مفصلة عن أعضاء الملاكات التدريسية للثانوية في خمسينات القرن العشرين، الذين مارسوا التدريس بحسب اختصاصاتهم العلمية ، وتألفت

من بينهم نخبة من الأساتذة الحائزين على الشهادات العالية في الجامعات العراقية والعربية ، فضلاً عن المدرسين الأجانب الذين انتدبتهم إدارة الجمعية لرفع المستوى العلمي لطلاب الثانوية ، وكان من بينهم المدرس المصري محمد سرور سعيد الحائز على شهادة الدبلوم من دار العلوم المصرية والمتخصص بتدريس الرياضيات والمدرسان اللبنانيان أمين الحسن الحائز على الشهادة من كلية بيروت لتدريس اللغة الإنجليزية ومحي الدين البواب الحائز على ليسانس آداب والمتخصص بتدريس اللغة العربية والمدرسان الفلسطينيان رشدي بنديس الحائز على الدبلوم في التربية والتعليم وجميل خيزران الحائز على الشهادة من جامعة القاهرة الذين أوكل إليهما تدريس اللغة الإنكليزية (وزارة المعارف ، ١٩٥٠-١٩٥٨). . كما ضم الملاك التدريسي للثانوية النهارية في السنة الدراسية ١٩٥٥-١٩٥ مدرسين أجانب انتدبتهم الإدارة بمساعدة وزارة المعارف والملحق الثقافي في السفارة العراقية بالقاهرة وهم كل من المدرس المصري ألقي اسكندر خله الحائز على البكالوريوس في الهندسة من جامعة عين شمس المصرية والمتخصص بتدريس الرياضيات والمدرس محمد احمد الريفي مراكشي الجنسية الحائز على الليسانس من كلية العلوم من جامعة القاهرة الذي تعهد بتدريس اللغة العربية والمدرس احمد محمود موسى مصري الجنسية الحائز على ليسانس آداب في اللغة الإنكليزية من جامعة الإسكندرية (وزارة المعارف ، ١٩٥٥-١٩٥٦، ٤٢).

استعانت الإدارة بالملاك التدريسي المحاضر في السنة الدراسية ١٩٦٤-١٩٦٥ الذي ضم نخبة متميزة من الأساتذة العراقيين الأكفاء الحاصلين على شهاداتهم العلمية من الجامعات العالمية في أوروبا والولايات المتحدة الأميركية وكان من ابرزهم الدكتور عبود البلداوي الحائز على شهادة الحقوق من جامعة جنيف السويسرية والمكلف بتدريس الاجتماعيات والمدرس المسيحي ابلحد دنو الحائز على الشهادة من جامعة إنديانا في أمريكا والمتخصص بتدريس اللغة الإنجليزية والمحاضر طارق سعيد الجبوري المدرس في متوسطة المثنى للبنين والحائز على الشهادة من كلية بولو ايث في أمريكا والمتخصص بتدريس الفيزياء

والمحاضـر داود سـلمان الحائز على الماجسـتير من جامعة الدنمارك والمتخصـص بتدريس العلوم (وزارة المعارف ، ١٩٦٤-١٩٦٥، ٦٠) .

أما بالنسـبة للملاك التدريسـي لثانوية التفيض التجارية المسـائية في السـنة ١٩٥٧-١٩٥٨ فقد تكون من أربعة محاضـرين في تخصـص العلوم المالية والتجارية انتدبتهم إدارة الجمعية من إعدادية التجارة وكلية التجارة والاقتصـاد العراقية ضـم من بينهم المحاضـر عبد المجيد النافوس الأستاذ في كلية التجارة والاقتصـاد العراقية والحائز على شـهادة الماجسـتير من جامعة كاليفورنيا الأمريكية والمتخصـص بتدريس المحاسـبة الإنكليزية (وزارة المعارف ، ١٩٥٧، ١٨٦).

فيما تكون الملاك التدريسـي لثانوية التفيض المسـائية في السـنة الدراسـية ١٩٦١-١٩٦٢ من إثنين وثلاثين مدرساً وأربعة كتبة وكان مديرها المسؤول ناجي رشيد الدوري الذي تسـنم منصـب المدير في عام ١٩٥٨ ومعاونين للإدارة هما رشـيد توفيق السـامرائي وعباس علي العاني ، وكانت غالبيتهم من الملاك التدريسـي المحاضـر اسـتعارته الإدارة من سـائر المدارس والمعاهد الحكومية لإلقاء المحاضـرات على طلاب الثانوية ،وكان من بينهم المحاضـر عبد القادر سـعيد البيطار المدرس في معهد المدربين العالي الحائز على الشـهادة من جامعة شـيكاغو الأمريكية والمتخصـص بتدريس اللغة الإنكليزية والمحاضـر باسـل امين الونداوي المدرس في الإعدادية الشـرقية للبنين الحائز على الشـهادة من جامعة كاليفورنيا والمتخصـص بتدريس اللغة الإنكليزية . والملاحظ أن عدد أعضـاء الملاك التدريسـي للثانوية المسائية كان يفوق عدد الملاك التدريسي للثانوية النهارية بسبب ازدياد عدد الطلبة في قسمها المسائي الذي أزداد بنحو ألف طالب في أوائل عقد الستينات(وزارة المعارف، ١٩٦١، ٣١).

بحسـب ما ورد في تقرير إدارة جمعية التفيض الأهلية في ١٨ آب ١٩٧٣ الصـادر الى مديرية التربية لمحافظة بغداد / الرصـافة كان الملاك التدريسـي الدائم للثانوية النهارية

مكوناً من المدير عباس عبد علي العاني والمعاون عبد الهادي حسين الراوي وخمسة مدرسين مثبتين على ملاكها التدريسي الدائم (وزارة التربية والتعليم ، ١٩٧٣، ٨٦).

والجدير بالذكر أن مدرسي ومستخدمي الثانوية المثبتين على ملاكها التدريسي الدائم لم يتم احتساب خدماتهم الوظيفية من قبل وزارة المعارف منذ تأسيس الدولة العراقية واصدار القانون الأساسي عام ١٩٢٤ وحتى أواخر الستينات من القرن العشرين ، بسبب عدم وجود قانون تقاعد صريح يكفل حقوق المعلمين والمدرسين العاملين في المدارس الأهلية أسوة بمعلمي ومدرسي المدارس الحكومية ، وبطبيعة الحال أدت تلك المسألة إلى نفور الكثير من المعلمين والمدرسين من التثبيت في المدارس الأهلية وعدم رغبتهم في التعيين على ملاكها التدريسي ، مما أرغمت الإدارة على الاعتماد بشكل رئيسي على نظام إعارة المحاضرين من سائر المدارس والمعاهد والجامعات والدوائر الحكومية لسد النقص الحاصل في ملاكاتها التدريسية مقابل أجور مالية تحددها الإدارة بموجب عقد استخدام التدريس الخاص بالمدارس الأهلية . وبعد إعلان الحكم الجمهوري الأول عام ١٩٥٨ ناشدت الجمعيات الثقافية العراقية رئيس الوزراء العراقي عبد الكريم قاسم للبت بطلبها بخصوص احتساب الخدمات التدريسية لمعلمي ومدرسي المدارس الأهلية خدمة فعلية لأغراض التقاعد في حال تعيينهم في الدوائر الرسمية وشبه الرسمية ، فضلاً عن مساواتهم بموظفي الدوائر الحكومية ، لم ترد رئاسة الوزراء على هذا الطلب ، ويبدو ان الأوضاع السياسية الراهنة التي طرأت على البلاد حالت دون تلبية الطلب .(وزارة المعارف ، ١٩٥٨ ، ١٤٥)

أقدمت جمعية مدارس التفيض الأهلية في بغداد على تقديم طلب ثانٍ إلى وزير التربية والتعليم عام ١٩٦٣ ، للمطالبة بحقوق معلميها ومدرسيها العاملين في مؤسساتها التعليمية في بغداد وحدد هذا الطلب بمجموعة من النقاط التالية:-

١- جعل الخدمة في هذه المؤسسات خدمة تقاعدية لجميع موظفيها ومستخدميها كالمدرسين والمحاسبين والكتبة ومأموري المكتبات عند تعيينهم في دوائر الدولة الرسمية وشبه الرسمية.

٢- مساواة موظفي ومستخدمي هذه المؤسسات بموظفي ومستخدمي المدارس الحكومية في الحقوق والواجبات من حيث الترفيع والعلاوة والتقاعد .

٣- شمول مدرسي ومعلمي هذه المؤسسات بالدورات التي تفتحها وزارة التربية .

٤- منح المعلم والمدرس شهادة تربوية بعد الانتهاء من خدماته في المدارس الأهلية يمكن الاستفادة منها للمطالبة بالتعيين او العلاوة .

أجابت وزارة التربية على كتاب إدارة الجمعية مؤكدة بأنها لا توافق على طلبها لتعارض ذلك مع قانون المتقاعدين من جهة والقوانين والأنظمة المرعية من جهة أخرى ، ولاسيما ما جاء في نص القرار المرقم (١٠٨٠٣)، والمؤرخ في ٢٥ شباط ١٩٦٢ .

(وزارة التربية والتعليم ، ١٩٦٣، ٩٤)

على أية حال تم احتساب الخدمات الوظيفية لمدرسي ومستخدمي ثانوية التفيض الأهلية عام ١٩٧٣ بعد التعديل الذي أجري على قانون تقاعد المدارس الأهلية المرقم (٥٨) لسنة ١٩٦٩ ، وساهم هذا التشريع على انصاف شريحة كبيرة من المعلمين والمدرسين العراقيين الذين أمضوا خدماتهم في المدارس الأهلية العراقية

(وزارة التربية والتعليم ، ١٩٧٣، ٨٦)

المبحث الثالث

الطلاب

اتسمت السياسة التعليمية للمدرسة منذ تأسيسها بالتوجهات الوطنية ومبدأ التسامح والتعايش السلمي بين المذاهب والأديان ،ولم يكن وجودها لغرض تجاري على الرغم من تبعيتها للجهة الأهلية ،وإنما كان يهدف إلى رفع المستوى العلمي والأخلاقي والديني للطلبة العراقيين ، ولم يكن قبولها للطلاب على اساس التجذر المذهبي او العرقي أو الطبقي ، انما قبلت الطلاب على اختلاف أديانهم وطوائفهم وقومياتهم وتثنياتهم دون تمييز من قبل ملاكاتها الإدارية

والتدريسية ،و تكون طلبتها من مسلمين ومسيحيين عراقيين ، فضلاً عن طلاب الجنسيات الأجنبية القاطنة في بغداد من الجالية الفلسطينية والإيرانية والسورية والمصرية والهندية، وعلى هذا الأساس فتحت المدرسة المجال للأهالي على اختلاف مشاربهم وطبقاتهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لإرسال أولادهم للتعليم فيها، وكانت تعفي الطلبة الفقراء والمعدمين سنوياً من دفع الأجور الدراسية(وزارة المعارف،١٩٥٧، ١٥٤).

وبحسب ما ورد في التقرير السنوي لوزارة المعارف للسنة الدراسية ١٩٤٤-١٩٤٥ كان عدد طلاب الثانوية النهارية (٤٤٣) طالباً للمرحلتين المتوسطة والاعدادية بفرعيها العلمي والأدبي ، فيما بلغ عدد طلاب الثانوية المسائية (١١١٤) طالباً للمرحلتين المتوسطة والإعدادية بفرعيها العلمي والأدبي ، أما بالنسبة لنتائج المعدلات السنوية للصفوف المنتهية للمدارس الإعدادية في السنة الدراسية فحصلت الثانوية النهارية على نسبة نجاح بلغت (٥٦%)، فيما كانت نسبة نجاح الثانوية المسائية (٣٠%)(التقرير السنوي لوزارة المعارف ، ١٩٤٤-١٩٤٥، ٧٤- ٨١)

شهدت الثانوية المسائية ازدياداً نسبياً في أعداد الطلبة في السنة الدراسية ١٩٤٦-١٩٤٧ فاق أعداد طلاب القسم النهاري بنحو (٧٤٦) طالباً ، موزعين على خمسة صفوف دراسية وتسع شعب أشرف على تدريسهم اثنان وعشرون مدرساً ، وكان عدد الطلاب المشاركين في الامتحانات العامة (١٨٨) طالباً نجح منهم (٨٧) وكانت نسبة النجاح المتحققة (٤٦%) ، فيما بلغ عدد طلاب الثانوية النهارية (٢٨٤) طالباً موزعين على خمسة صفوف دراسية ، أشرف على تدريسهم خمسة عشر مدرساً ، وكان عدد الطلاب المشاركين في الامتحانات العامة (٥٧) طالباً نجح منهم (٣٢) وحققت نسبة نجاح (٥٦%) (التقرير السنوي لوزارة المعارف ، ١٩٤٨، ٧٢-٧٩).

والملاحظ في التقارير السنوية لسير المعارف أن الآلية المتبعة في الثانوية في تأهيل الطلبة وإعدادهم لخوض الامتحانات الوزارية العامة للمرحلتين المتوسطة والإعدادية اعتمدت

على معطيات الطالب العلمية ودرجات النجاح التي حصل عليه خلال فصول السنة الدراسية وفق ما كان معمولاً به في المدارس الحكومية طبقاً للقوانين والأنظمة التعليمية لوزارة المعارف.

عند حلول السنة الدراسية ١٩٥١-١٩٥٢ بلغ عدد طلاب الثانوية النهارية بقسميها المتوسط والإعدادي (٢٦١) طالباً موزعين على عشرة صفوف وشعب دراسية أشرف على تدريسهم ستة عشر مدرساً ، وكان عدد الطلبة المشتركين في الامتحانات الوزارية العامة للفرعين العلمي والأدبي في الصف الخامس المنتهي (٣٩) طالباً، نجح منهم (٣٤) طالباً وكانت نسبة النجاح المتحققة (٨٨%)، فيما كان مجموع العدد الكلي العام لطلاب الثانوية المسائية للمرحلتين المتوسطة والإعدادية (٤٧٠) طالباً ، موزعين على أحد عشر صفاً وشعبة دراسية أشرف على تدريسهم ثلاث وثلاثون مدرساً ، وبلغ عدد الطلبة المتقدمين لخوض الامتحانات الوزارية العامة للصف الخامس المنتهي بفرعيه العلمي والأدبي (٩١) طالباً من مجموع العدد الكلي البالغ (٩٧) طالباً ، نجح منهم (٥٥) طالب ، وكانت نسبة النجاح المتحققة (٦٠%) (التقرير السنوي لوزارة المعارف ، ١٩٥١- ١٩٥٢، ٧٢- ٨٥).

ازداد عدد طلاب الثانوية للقسمين النهاري والمسائي للمرحلتين المتوسط والإعدادي في السنة الدراسية ١٩٥٢-١٩٥٣ حيث وصل إلى (١٠٥٠) طالباً ، ومن خلال تصنيف الطلبة بحسب انتماءاتهم الدينية والقومية كانت غالبيتهم من العراقيين المسلمين ، فيما تألف من مجموعها الكلي(٤٥) طالباً مسيحياً و(٣٥) طالباً ايرانياً (وزارة المعارف، ١٩٥٣، ٢٨٣).

وكان عدد طلاب الثانوية التجارية المسائية في عامها الدراسي الأول ١٩٥٧ -١٩٥٨ (٢٦٥) طالباً موزعين على أربعة صفوف و شعب دراسية أشرف على تدريسهم أربعة مدرسين واثنا عشر محاضراً ،وكان عدد الطلاب المتقدمين في الامتحانات العامة (١٢) طالباً نجح منهم ثلاثة طلاب وكانت نسبة النجاح المتحققة (٢٥%) ، فيما أحرزت صفوفها غير المنتهية نسبة نجاح عالية بلغت (٨٤%) (وزارة المعارف ، ١٩٥٨، ٤١).

وبحسب تقرير مفتشية وزارة المعارف شهدت الثانوية في السنة الدراسية ١٩٥٨-١٩٥٩ اقبالاً كبيراً من قبل الطلاب للتسجيل في جميع اقسام الثانوية وفروعها الدراسية ، وكان عدد الطلبة المتقدمين في الامتحانات العامة للمرحلة الإعدادية بقسمها النهاري (٢٥) طالباً نجح جميعهم وحققت الثانوية نسبة نجاح (١٠٠%)(وزارة المعارف، ١٩٣،١٩٥٨) .

يبدو أن الزيادة العددية لطلاب الثانوية كانت بسبب الكثافة السكانية للعاصمة بغداد بعد ان نزح إليها الكثير من الأهالي القادمين من المدن والمحافظات العراقية ، بحكم المتغيرات السياسية والاجتماعية التي طرأت على العراق بعد تغيير نظام الحكم الملكي الى جمهوري ، وانعكست هذه الزيادة على أعداد الطلبة في المدارس الأهلية.

وعند حلول العام الدراسي ١٩٦١-١٩٦٢ شهدت الثانوية المسائية أعلى ارتفاع لها في عدد الطلاب قياساً بالسنوات الدراسية السابقة حيث وصلت أعدادهم (١١٦٦) طالباً موزعين على سبعة صفوف دراسية وسبع عشرة شعبة ، وكان عدد المدرسين الذين اشرفوا على تدريسهم اثنين وثلاثين مدرساً ، وأربع كتبة (وزارة المعارف ، ١٩٦١، ٣٢).

المبحث الرابع

واردات المدرسة المالية وميزانيتها السنوية.

اعتمدت الثانوية في تمويلها على الأجور الدراسية التي يدفعها الطلاب ، وتدفع تلك الأجور سنوياً بحسب النسب العددية لطلاب الثانوية التي كانت تتفاوت من سنة إلى أخرى ، وكانت كلفة الأجور الدراسية السنوية التي حددتها الإدارة في عام ١٩٦٠ لطلاب المرحلة المتوسطة (١٠,٥٠٠) ديناراً (١٢,٥٠٠) دينارٍ من طلاب المرحلة الإعدادية، وتعفي الثانوية سنوياً عدداً من طلاب الفقراء والمعدمين من دفع الاجور الدراسية وتجهزهم بالكتب والمستلزمات المدرسية مجاناً، كما منحت امتيازاً للطلبة الأوائل وأبناء المدرسين والعمال وموظفي الخدمة بإعفائهم من دفع الأجور الدراسية

(وزارة المعارف ، ١٩٦٠، ١٨٩). والجدير بالذكر أن عدد الطلبة الذين اعفتهم الجمعية في مؤسساتها التعليمية من دفع الأجور الدراسية في عام ١٩٥٢ بلغ (٤٧٥) طالباً (وزارة المعارف ، ١٩٥٢، ٣٢٣).

إلى جانب ذلك كانت الثانوية تحصل على واردات مدرسية أخرى وفرت جزءاً بسيطاً من مصاريفها كواردات الحانوت المدرسي وأجور إقامة الحفلات والمهرجانات المدرسية، فضلاً عن إيرادات الشركة السياحية في المنصور لسباق الخيل التي كانت توفر إيراداً سنوياً قدره(٥٠٠) دينار لميزانية المدرسة في عقد الخمسينات(وزارة المعارف،١٩٥١-١٩٥٢، ٤١٧).

استعانت الثانوية بالدرجة الأساس في تمويلها على المساعدات المالية الممنوحة من قبل صندوق جمعية مدارس التفيض الأهلية التي يتم من خلالها تمويل العجز المالي في الميزانية السنوية للثانوية بسبب زيادة النفقات على الإيرادات ، وكان الجزء الكبير من تلك الواردات تصرف كرواتب على المدرسين والملاك التدريسي المحاضر وموظفي الخدمة الى جانب المصروفات الاخرى المتعلقة بالكتب المدرسية والقرطاسية ومقاعد الدراسة والأثاث و أجور الكهرباء والهاتف و التصليحات والترميمات المدرسية (وزارة المعارف١٩٥٢-١٩٥٨).

ومن خلال الاطلاع على قوائم الميزانيات المالية السنوية للثانوية للسنوات الدراسية ١٩٥٠-١٩٧٠ يتبين أن إدارة جمعية التفيض الأهلية كانت تتقاضى مساعدة مالية سنوية من وزارة المعارف للإنفاق على مؤسساتها التعليمية في بغداد ، تراوح مقدار تلك المساعدة من خمسة آلاف دينار إلى ستة آلاف دينار سنوياً ، وخصصت الجمعية جزءاً منها للأنفاق على ثانوية التفيض الأهلية ، وكان مقدار تلك المساعدة مشروطاً بعدم حصول المدرسة على العقوبات الانضباطية وإحرازها نسب النجاح العالية أو المتوسطة في الامتحانات العامة ، فضلاً عن مدى التزامها بالقوانين والأنظمة التعليمية في وزارة المعارف (التربية والتعليم)، وكان مقدار المنحة المالية السنوية التي خصصتها وزارة المعارف للجمعية بموجب قرار مجلس المعارف في جلسته الرابعة عشر المنعقدة في ٢٨ تموز ١٩٥٣ (٥٠٠٠) دينار وفق

المادة (١) من الفصـــل (١٢٤) من إعانات المدارس الأهلية والمؤســـســـات الثقافية (وزارة المعارف ،١٩٥٣، ٢٦٠-٢٦١).

الخاتمة

تعد المدرسة الأهلية التي أطلق عليها فيما بعد تسمية مدرسة (ثانوية التفيض الأهلية) من أولى المدارس الإسلامية التي قام بتأسيسها علي البازركان في فترة الاحتلال البريطاني ، بمساعدة بعض العناصر الوطنية التي ينتمي اعضاؤها إلى تشكيل سياسي سري يعرف بـ (حزب حرس الاستقلال) ،وكانت الغاية من تأسيسها تحقيق أهداف سياسية ووطنية تداخلت مع نشاطها التعليمي ، وبعد تأسيس الدولة العراقية عام ١٩٢١ استعادت المدرسة مكانتها العلمية والاجتماعية من بين المدارس الاخرى في بغداد.

وكان تأسيس جمعية مدارس التفيض الأهلية في عام ١٩٢٥ التي حلت محل الهيئة الإدارية العامة بمثابة نقطة تحول رئيسية في تاريخ المدرسة بعد أن تخلت الهيئة عن عملها السياسي وألحقت بالثانوية اقساماً وفروعاً دراسية وسعت في توجيهها نحو أهدافها التعليمية ، وبعد ازدهارها أصـــبحت منطلقاً للجمعية لتأســيس مؤســســات تعليمية اخرى في بغداد . وســـاهمت في رفدها بنخبة متميزة من الملاكات التدريســـية العراقية والأجنبية حائزه على الشـــهادات العلمية من الجامعات الأمريكية والأوروبية ، بهدف الارتقاء بالمســـتوى الثقافي والخلقي لطلبتها وتطوير امكانياتهم العلمية .

قدمت المدرســة خدمة تربوية وتعليمية كبيرة طيلة خمســة عقود من تاريخها، اســتفاد منها الكثير من الطلبة على اختلاف أديانهم ومذاهبهم وقومياتهم وأعراقهم من المســـلمين والمسـيحيين واليهود والجاليات الأجنبية . واسـتجابت إلى القوانين والأنظمة التعليمية في وزارة المعارف والتربية وحظيت بدعمها بالمساعدات المالية .

ورغم كل ماسبق اجهضـت الحكومات العراقية المتعاقبة حقوق معلميها ومدرسيها بعدم احتسـاب خدماتهم التي أمضـوها في هذه المدرسـة والمدارس الأخرى التابعة لجمعية التفيض

الأهلية خدمة فعلية لغرض التقاعد وحرمانهم من الامتيازات المترتبة عليها ، حينما أغفل المشرع العراقي على تشريع قانون خاص لضمان حقوق الموظفين والمستخدمين العاملين في المدارس الأهلية أسوة بموظفي الدوائر الحكومية ، وظلت القضية عالقة دون تشريع حتى عام ١٩٧٣ بعد أن أقدمت الحكومة العراقية على تعديل بعض المواد والفقرات الخاصة بقانون المدارس الأهلية الصادر عام ١٩٦٩ وأنصاف موظفي المدارس الأهلية ومساواتهم مع موظفي المدارس الحكومية .

الهوامش

١- ابراهيم ، خليل احمد . (١٩٨٢) . تطور التعليم الوطني في العراق (١٨٦٩-١٩٣٢). ط ١ . مطبعة جامعة البصرة . البصرة . العراق .

٢- رجب ، جاسم محمد . (٢٠١٦). ((المدارس المسيحية في بغداد ١٩٢١-١٩٥٨ دراسة تاريخية)) . رسالة ماجستير غير منشورة . كلية التربية الأساسية ، الجامعة المستنصرية. بغداد . العراق .

٣- المعلم الجديد ، مجلة . (تشرين الثاني ١٩٤٨). مراحل الدراسة ومظاهر التعليم . ج٢. السنة الثانية عشر . مطبعة التفيض . بغداد . العراق .

٤- تاجر وسياسي عراقي من اصول عربية ينتسب إلى قبيلة قيس الكروية ولد في جانب الرصافة من بغداد في محلة الحيدرخانة عام ١٨٨٧م أكمل دراسته الأولية في إحدى الكتاتيب الدينية الملحقة بالجوامع ، ألتحق بالمدرسة الرشدية العسكرية ، وواصل دراسته في الإعدادية الملكية ، وبعد وفاة والده ترك مقاعد الدراسة وامتهن التجارة ومنذ ذلك الحين أطلق عليه البازركان وتعني السوق أو التاجر . إبان الاحتلال البريطاني للعراق ساهم بتأسيس تجمع سياسي سري يعرف ب (جمعية حرس الاستقلال) اتخذ من المدرسة الأهلية في بغداد مركزاً للحركة الوطنية المعارضة للانتداب البريطاني ، هرب إلى كربلاء بعد أن أصدرت السلطات البريطانية أمراً

باعتقاله ، وكان أحد القادة المساهمين في الثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠ في مدن الفرات الأوسط ، وفي العهد الوطني وتأسيس الحكومة العراقية تسنم عدة مناصب إدارية في مختلف ألوية العراق وكان آخرها مفتشاً إدارياً ، توفي في بغداد في ٢٠ تشرين الأول ١٩٥٨ . ينظر :- البازركان ، علي و حسان علي . (١٩٩٢). فصول من تاريخ التربية والتعليم في العراق ذكريات ووثائق. الطبعة . ج ٢. مكتب اسوان للخدمات الطباعية . بغداد . العراق .

٥- محلة بغدادية قديمة تقع في جانب الرصافة من بغداد قرب سراي الحكومة العثمانية سميت على اسم والي بغداد العثماني حسن باشا أثناء ولايته على بغداد عام ١٧٠٤ ينظر :- جمال بابان ، المحامي . (٢٠١٣). أصول أسماء المدن والمواقع العراقية . الطبعة الثانية . ج ٢. دار الثقافة والنشر الكردية . بغداد . العراق .

٦- البازركان ، المصدر السابق .

٧- فيضي ، سليمان . (١٩٥٢). في غمرة النضال (مذكرات) . ط ١ . دار الساقي . بغداد . العراق .

٨- د .ك. و ، ملفات وزارة المعارف- الديوان ، (جمعية ثانوية التفيض الأهلية)، التقرير المدرسي عن المدارس الأهلية والأجنبية ، ١٩٥٢، رقم الملفه ٥٤٦/٣٢١٢٠.

٩- علي آل البازركان ، المصدر السابق.

١٠- المس بيل ، ت جعفر الخياط . (١٩٧١). فصول من تاريخ العراق القريب . ط ٢ . مطبعة دار الكتب . بيروت . لبنان

١١ -المصدر نفسه ، ص ٤٣٥-٤٣٧.

١٢- استدعى يوسف السويدي زعماء التجمع السياسي لحزب الاستقلال على خلفية الرسالة التي بعث بها عبد المجيد كنه وهم كل من علي البازركان و احمد الشيخ داوود ومحمد الصدر وجعفر ابو التمن وبعد التداول في الأمر وافقوا بالإجماع على تمويل الحركة

السرية المسلحة التي يقودها عبد المجيد كنه لتصفية العناصر السياسية المناوئة التي وظفت خدماتها للسلطات البريطانية . وبحكم ذلك اعتقل عبد المجيد كنه وحوكم بالإعدام من قبل المحكمة العسكرية البريطانية في ٢٥ أيلول ١٩٢٠ ينظر:- الزبيدي، محمد حسين . (١٩٨٩). العراقيون المنفيون الى جزيرة هنجام . الطبعة الثانية . بغداد . العراق .

١٣ - سليمان فيضي ، المصدر السابق .

١٤- د .ك. و ، ملفات وزارة المعارف- الديوان ، (جمعية ثانوية التفيض)، رقم الملفة ٥٤٦/٣٢١٢٠.

١٥- د .ك. و ، ملفات وزارة المعارف- الديوان ، (جمعية ثانوية التفيض الأهلية)، كتاب إدارة الجمعية الى مديرية التربية للواء بغداد / الرصافة ، ٢ آيار ١٩٦٨، العدد / ٩٠١، رقم الملفة ٦٦/٤٢١٢٠٠، الوثيقة المرقمة ٢١٧، ص ٣٢٧.

١٦- د .ك. و ، ملفات وزارة المعارف- الديوان ، (ثانوية التفيض الأهلية المسائية)، التقرير المدرسي عن المدارس الأهلية والأجنبية لمفتشية المعارف العامة عبد الوهاب الركابي ، ١٤ كانون الثاني ١٩٦١، رقم الملفة ٥٤٣/٣٢١٢٠، الوثيقة المرقمة ٥٢، ص ٦٥.

١٧ - د .ك. و ، ملفات وزارة المعارف- الديوان ، (ثانوية التفيض الأهلية النهارية)، جدول توزيع الدروس للسنة الدراسية ١٩٥٤-١٩٥٥، رقم الملفة ٥٤٦/٣٢١٢٠، الوثيقة المرقمة ٣١، ص ٢٩.

١٨- د .ك. و ، ملفات وزارة المعارف- الديوان ، (ثانوية التفيض الأهلية المسائية)، ١٩٥٧-١٩٦٢، رقم الملفة ٥٤٣/٣٢١٢٠.

١٩- كانت مدارس التفيض الأهلية التي أسستها جمعية التفيض الأهلية في بغداد في عقدي الخمسينات والستينات من القرن العشرين ثماني مدارس أشرفت الجمعية على إدارتها وتمويلها وهي كالآتي :

١- روضة وابتدائية التفيض الأهلية في الأعظمية وتشغل بناية حديثة تابعة للجمعية .

٢- روضــة وابتدائية التفيض الأهلية في العلوية وتشــغل بنايتين حديثتين تعود للجمعية أحداهما للقسم الابتدائي والأخرى لقسم الروضة والتمهيدي .

٣- ثانوية التفيض الأهلية المسائية للبنين في العلوية وتشغل بناية تعود للجمعية .

٤- ثانوية التفيض الأهلية المسائية للبنات في العلوية وتشغل بناية تعود للجمعية .

٥- ثانوية التفيض الأهلية للبنين في الاعظمية وتشــغل بناية مســتأجرة من قبل وزارة التربية.

٦- ثانوية التفيض الأهلية المسائية للبنين في الكرخ وتشغل بناية تعود للإدارة المحلية .

٧- ثانوية التفيض الأهلية المسائية للبنين في الحرية وتشغل بناية تعود للإدارة المحلية.

٨- ثانوية التفيض الأهلية المسائية للبنين في مدينة الثورة وتشغل بناية تعود للجمعية .

ينظر د .ك. و ، ملفات وزارة التربية والتعليم- الديوان ، (جمعية التفيض الأهلية)، كتاب إدارة الجمعية الى مديرية التربية للواء بغداد / الرصــافة ، ٦ شــباط ١٩٦٥، العدد / ٤٥٧، رقم الملفة ٣٣٤/٤٢١٢٠١، الوثيقة المرقمة ٤٧، ص ٤٩-٥٠.

٢٠- د. ك. و ، ملفات وزارة المعارف- الديوان ، (ثانوية التفيض الأهلية)، كتاب (ســري ومســــتعجل)، ١١ آذار ١٩٥٢، العدد / ٨٨، رقم الملفة ٥٤٦/٣٢١٢٠، الوثيقة المرقمة ٣٤٤، ص ٣٨٣.

٢١- د .ك. و ، ملفات وزارة المعارف- الديوان ، (جمعية التفيض الأهلية)، الميزانية المالية الســنوية للعام الدراســي ١٩٥٤- ١٩٥٥، رقم الملفة ٥٤٦/ ٣٢١٢٠، الوثيقة المرقمة ٢٧، ص ٤١.

٢٢ - د .ك. و ، ملفات وزارة المعارف- الديوان ، (جمعية التفيض الأهلية) ،كتاب المدير الوكيل لجمعية التفيض الأهلية إلى مديرية معارف لواء بغداد ، العدد / ٣٩٨، ١ تشرين الثاني ١٩٥٤، رقم الملفة ٥٤٦/ ٣٢١٢٠، الوثيقة المرقمة ١٣٧، ص ١٥٢.

٢٣- د .ك. و ، ملفات وزارة المعارف- الديوان ، (ثانوية التفيض التجارية الأهلية المسائية)، رقم الملفة ٥٤٣/٣٢١٢٠، الوثيقة المرقمة ١٦٢، ص ١٩١.

٢٤- د .ك. و ، ملفات وزارة التربية والتعليم - الديوان ، (ثانوية التفيض الأهلية)، التقرير المدرسي عن المدارس الأهلية والأجنبية لمفتشية التربية والتعليم العامه الثانوي للمفتش الاختصاص احمد معروف ، ٢٨ تشرين الاول ١٩٦٥، مذكرة رقم (٢)، رقم الملفة ٦٦/٤٢١٢٠٠، الوثيقة المرقمة ٣٢٧، ص ٤٦٧.

٢٥- د .ك. و ، ملفات وزارة المعارف- الديوان ، (طلب موافقة مبدئية على فتح كلية حقوق مسائية)، كتاب رئيس مجلس إدارة جمعية التفيض الأهلية إلى مديرية معارف لواء بغداد / الرصافة ، العدد / ٤٤٩، ٢٣ نيسان ١٩٦٢، رقم الملفة ٣٣٤/٤٢١٢٠١، الوثيقة المرقمة ١٢٩، ص ١٤٤.

٢٦- عبد ، علي حسن . (٢٠١٤) . مسار العملية التربوية في العراق الواقع والطموح . ط ١ ، مطبعة جعفر العصامي . بغداد . العراق

٢٧ -البازركان ، المصدر السابق .

٢٨- د .ك. و ، ملفات وزارة المعارف- الديوان ، (جمعية ثانوية التفيض الأهلية)، ١٩٥٠-١٩٥٨، رقم الملفة ٥٤٦/٣٢١٢٠.

٢٩- د .ك. و ، ملفات وزارة المعارف- الديوان ،(ملاك ثانوية التفيض الأهلية الصباحية)، ١٩٥٥-١٩٥٦، رقم الملفة ٥٤٦/٣٢١٢٠، الوثيقة المرقمة ٢٧، ص ٤٤.

٣٠- د .ك. و، ملفات وزارة التربية والتعليم - الديوان ،(ملاك ثانوية التفيض الأهلية الصباحية)، ١٩٦٤-١٩٦٥، رقم الملفة ٣٣٤/٤٢١٢٠١، الوثيقة المرقمة ٥٥، ص٦٠.

٣١- د .ك. و ، ملفات وزارة المعارف- الديوان ،(محاضرات)، ٥ كانون الأول ١٩٥٧، رقم الملفة ٥٤٣/٣٢١٢٠، الوثيقة المرقمة ١٥٧، ص ١٨٦.

٣٢- د .ك. و ، ملفات وزارة المعارف- الديوان (ثانوية التفيض الأهلية المسائية)، رقم الملفة ٥٤٣/٣٢١٢٠، الوثيقة المرقمة ٢٨، ص ٣١.

٣٣ - د .ك. و ، ملفات وزارة المعارف - الديوان (جمعية مدارس التفيض الأهلية في بغداد)، كتاب إدارات الجمعيات الثقافية في العراق الى رئيس الوزراء العراقي عبد الكريم قاسم ، ١٩٥٨، رقم الملفة ٣٣٤/٤٢١٢٠١، الوثيقة المرقمة ١٣١، ص ١٤٥.

٣٤- د .ك. و ، ملفات وزارة التربية والتعليم - الديوان (جمعية مدارس التفيض الأهلية)، ٤ اذار ١٩٦٣، رقم الملفة ٣٣٤/٤٢١٢٠١، الوثيقة المرقمة ٨٣، ص ٩٤.

٣٥ - د .ك. و ، ملفات وزارة التربية والتعليم - الديوان، (جمعية التفيض الأهلية)، كتاب مدير الإدارة رشيد توفيق السامرائي الى مديرية التربية لمحافظة بغداد / الرصافة ، العدد / ١٦٥، ١٨ آب ١٩٧٣، رقم الملفة ٦٦/٤٢١٢٠٠، الوثيقة المرقمة ٥٢، ص٨٦.

٣٦- د .ك. و ، ملفات وزارة المعارف- الديوان ، (ثانوية التفيض الأهلية النهارية)، تقرير مدرسي للمفتش الاختصاص عبد الهادي المختار ، ٢٤ نيسان ١٩٥٧ ، رقم الملفة ٥٤٦/٣٢١٢٠، الوثيقة المرقمة ١٣٥، ص ١٥٤.

٣٧- الحكومة العراقية ، وزارة المعارف . (١٩٤٦). التقرير السنوي عن سير المعارف لسنة ١٩٤٤-١٩٤٥. مطبعة الحكومة . بغداد . العراق .

٣٨- الحكومة العراقية ، وزارة المعارف . (١٩٤٨). التقرير السنوي عن سير المعارف لسنة ١٩٤٦-١٩٤٨، مطبعة الحكومة. بغداد . العراق .

٣٩- الحكومة العراقية ، وزارة المعارف . (١٩٥٣). التقرير السنوي عن سير المعارف لسنة ١٩٥١-١٩٥٢. مطبعة الحكومة. بغداد . العراق .

٤٠- د .ك. و ، ملفات وزارة المعارف- الديوان ، التقرير المدرسي عن طلاب ثانوية التفيض الأهلية ، ١٩٥٢، رقم الملفة ٥٤٦/٣٢١٢٠، الوثيقة المرقمة ٤٥٠، ص ٢٨٣.

٤١- د .ك. و ، ملفات وزارة المعارف- الديوان ،(الثانوية التجارية المسائية)، ١٩٥٧-١٩٥٨، رقم الملفة ٥٤٦/٣٢١٢٠، الوثيقة المرقمة ٢٧، ص ٤١.

٤٢- د .ك. و ، ملفات وزارة المعارف- الديوان ،(ثانوية التفيض المسائية)، كتاب مدير الإدارة ناجي رشيد الدوري الى مديرية معارف لواء بغداد / الرصافة ، العدد/ ٥٩٠، ١٣ تشرين الثاني ١٩٦١، رقم الملفة ٥٤٣/٣٢١٢٠، الوثيقة المرقمة ٢٨، ص ٣١-٣٢.

٤٣- د .ك. و ، ملفات وزارة المعارف- الديوان ،(الميزانية السنوية لثانوية التفيض الأهلية)، ١٩٦٠-١٩٦١، رقم الملفة ٣٣٤/٤٢١٢٠١، الوثيقة المرقمة ١٦٨، ص ١٨٩.

٤٤- د .ك. و ، ملفات وزارة المعارف- الديوان ،(جمعية ثانوية التفيض الأهلية)، كتاب مدير إدارة جمعية التفيض الأهلية إلى مديرية معارف لواء بغداد ، العدد/ م/م/٢٧٨٦٩، ٢٣ كانون الأول ١٩٥٢، رقم الملفة ٥٤٦/٣٢١٢٠، الوثيقة المرقمة ٢٨١، ص ٣٢٣.

٤٥- د .ك. و ، ملفات وزارة المعارف- الديوان ،(الميزانية السنوية لثانوية التفيض الأهلية) ١٩٥١-١٩٥٢، رقم الملفة ٥٤٦/٣٢١٢٠، الوثيقة المرقمة ٢٨١، ص ٤١٧.

٤٦- د .ك. و ، ملفات وزارة المعارف- الديوان ،(جمعية ثانوية التفيض الأهلية)، ١٩٥٢-١٩٥٨، رقم الملفة ٥٤٦/٣٢١٢٠.

٤٧ - د .ك. و ، ملفات وزارة المعارف- الديوان ،(توزيع منح المدارس الأهلية) ، العدد/٢٦٠٤٦، ٥ آب ١٩٥٣، رقم الملفة ٥٤٦/٣٢١٢٠، الوثيقة المرقمة ٤٥٠، ص ٢٦٠-٢٦١.

المصادر

اولاً- الوثائق العراقية الرسمية غير المنشورة المحفوظة في دار الكتب والوثائق الوطنية ببغداد (د. ك. و).

- ملفات وزارة المعارف

١- (جمعية ثانوية التفيض)، ١٩٥٠-١٩٥٨، رقم الملف ٣٢١٢٠/٥٤٦.

٢- (ثانوية التفيض الأهلية المسائية)، ١٩٥٧-١٩٦٢، رقم الملف ٣٢١٢٠/٥٤٣.

- ملفات وزارة التربية والتعليم

١- (جمعية التفيض الأهلية)، ١٩٥٨-١٩٦٦، رقم الملف ٤٢١٢٠١/٣٣٤.

٢- (جمعية التفيض الأهلية)، ١٩٦٤-١٩٧٣، رقم الملف ٤٢١٢٠٠/٦٦.

ثانياً- المطبوعات العراقية الرسمية

- التقارير السنوية لوزارة المعارف العراقية .

١-الحكومة العراقية ، وزارة المعارف . (١٩٤٦). التقرير السنوي عن سير المعارف لسنة ١٩٤٤-١٩٤٥. مطبعة الحكومة . بغداد . العراق .

٢-الحكومة العراقية ، وزارة المعارف . (١٩٤٨). التقرير السنوي عن سير المعارف لسنة ١٩٤٦-١٩٤٨، مطبعة الحكومة. بغداد . العراق .

٣-الحكومة العراقية ، وزارة المعارف . (١٩٥٣). التقرير السنوي عن سير المعارف لسنة ١٩٥١-١٩٥٢. مطبعة الحكومة. بغداد . العراق .

- المعلم الجديد ، مجلة . (تشرين الثاني ١٩٤٨). مراحل الدراسة ومظاهر التعليم . ج٢. السنة الثانية عشر . مطبعة التفيض . بغداد . العراق .

ثالثاً - الرسائل الجامعية .

-رجب ، جاسم محمد . (٢٠١٦). ((المدارس المسيحية في بغداد ١٩٢١-١٩٥٨ دراسة تاريخية)) . رسالة ماجستير غير منشورة . كلية التربية الأساسية ، الجامعة المستنصرية. بغداد . العراق .

رابعاً- الكتب العربية والمعربة .

١-ابراهيم ، خليل احمد . (١٩٨٢) . تطور التعليم الوطني في العراق (١٨٦٩-١٩٣٢). ط ١ . مطبعة جامعة البصرة . البصرة . العراق

٢- البازركان ، علي و حسان علي . (١٩٩٢). فصول من تاريخ التربية والتعليم في العراق ذكريات ووثائق. ج ٢ . مكتب اسوان للخدمات الطباعية . بغداد . العراق .

٣-جمال بابان ، المحامي . (٢٠١٣). أصـــول أســـماء المدن والمواقع العراقية . الطبعة الثانية . ج ٢ . دار الثقافة والنشر الكردية . بغداد . العراق .

٤- المس بيل ، ت جعفر الخياط . (١٩٧١). فصـــول من تاريخ العراق القريب . ط ٢ . مطبعة دار الكتب . بيروت . لبنان .

٥- الزبيدي ، محمد حســـين . (١٩٨٩). العراقيون المنفيون الى جزيرة هنجام . الطبعة الثانية. بغداد . العراق .

٦- عبد ، علي حسن. (٢٠١٤) . مسار العملية التربوية في العراق الواقع والطموح. ط١ ، مطبعة جعفر العصامي . بغداد . العراق .

٧- فيضي ، سليمان . (١٩٥٢). في غمرة النضال (مذكرات) . ط ١ . دار الساقي . بغداد . العراق .